الفصل الثالث

- **كيف حدث هذا يابنى ؟**
- **ثورة 23 يوليو والثورة الأخرى**
- **شخصية عمك جمال**

كيف حدث هذا يا بنى؟

لم إتوقع ان امسك بقلمى لكى اسطر لك هذه الكلمات وعمرك علـــى الإرض لـــم يتجاوز الشهرين ..

ولقد حدثتك يا ولدى فى الفصل السابق مـــن المـــذكرإت عـــن أســـلحة حلـــف الأطلنطى التى جاءت مصر لتخلع عمك جمال ،وسردت لك تاريخ أقدم وثيقة لاعلان حقوق الأنسان وقد كتبت فى مصر .

وحدثتك عن الدروس القاسية التى تعلمتها فى القرية . . وجدتى ، والمشـــهد الذى تكرر بمد أربعة وسبعين عاما ، وقصة الإنذارين اللذين رفضناهما .

وقلت ياولدى ان الطريق لم يكن سهلا ولا ممهدا .. لاننا
كنا نواجه عقبات من الرجعيين .. ومن داخل الثوره نفسها . .
وذكرت لك ياولدى كيف خرج الجنرال محمد نجيب على مبادىء الثورة.. وهو الرجل الذى اخترناه اول الامر لقيادتها .. ولكنه ياولدى فضل ان يتعامل مع اعـــداء الثورة.. وكادت المسألة تنتهى بكارثة لولا يقظة عمك جمال عبدالناصر ..
وقلت لك يابنى اشياء كثيرة .. وحدثتك عن العالم الذى
لا يرث أحقاد القرون الماضية والقلق الذى يشقى الانسان .
كيف حدث هذا كما قلت لك فى نهاية الفصل السابق يابنى هذا ما ســـأرويه لـــك الان ، ولن تكون روايتى تاريخا أو مذكرات وانما هى كمـــا قلـــت لـــك احساســـات وانفعلات هى اقرب ماتكون إلى الذكريات منها إلى المذكرات ..

فلكى تستطيع ان تعرف ماحدث ، يجب ان تلم يا بنى بـــأمرين، الأمـــر الاول هو ثورة 23 يوليو ، والأمر الثانى هو شخصيه عمك جمال عبد الناصر، وســـترى يابـــنى ان الحديث عن الثورة واهدافها واحداثها طوال الفترة التى أنقضـــت منـــذ بدئها فى 23 يوليو سنة 1952 الى هذا اليوم الذى اكتب لك فيه هذه الصفحات فـــى شهر يناير سنة1957 ، اقول سرى يابنى ان الحديث عن الثورة لابد وان يعود بنا فى كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك جمال ، وسترى، أيضا يابنى أن الحـــديث عن شخصية عمك جمال سيعود بنا دائمـــا إلـــى فطـــرة شـــعب مصـــر ومقوماتـــه وخصائصه فى القرية والحقل كما هى فى المصنع والمدينة ، هذه المقومات وتلـــك الخصائص التى هزمت بريطاينا وفرنسا وإسرائيل وردت عدوانهم وهم الذين كانـــت لديهم أحدث الأسلحه والادوات التى أعدت للحرب والخراب والدمار ..

حديث شيق

ان حديث ثورة 23 يوليو يابنى حديث شيق على مافيه من قسوة وشجى وبرغم مافيه من الوان الصراع ، صراع من قبل ان تبدأ الثورة فى الداخل ، وهـــو اليـــوم حديث العالم كله فى الخارج . .

وكما سبق أن قلت مرارا من قبل يابنى ، فان ثورة 23 يوليو حدث تاريخى له شخصيته المستقلة تمام الاستقلال عن كل ما ســـبقه مـــن ثورات مماثلة، وله طابعه ومميزاته التى لن يستطيع ان يدركها الا من عـــاش فـــى البيئة المصرية او تعرف عليها عن فهم ودراسة . .

وفى هذا القرن الذى نعيش فيه حدثت ثلاث ثورات كانت كلها تكاد تكون مؤدية بعضها الى البعض ، فبعد الحرب العالمية الاولى ، وعلى اثر الهزيمة التى منيت بها تركيا، قام ممطفى كمال اتاتورك بثورته المشهورة لكى يجدد شباب تركيا . .

وايا كانت الوسائل التى اتبعها ، وايا كانت ايضا طريقة فهمها لبعث تركيا ، فان مصطفى كمال استطاع خلال فترة حكمه أن يرسى قواعد كثيرة لنهضة تركيا وقوتها واستقلالها الذى يفرط فيه حكام تركيا اليوم على صورة مؤسفة . .

ثورة موسولينى

وجاءت ثورة موسولينى فى إيطاليا الثانيه فى الترتيب بعد ثورة تركيا ، وهى قد قامت ــ اى الثورة الفاشستية الايطالية ــ عقب الهزيمة فى الحرب العالميه الأولى ايضا..

والذى يهمنى في هذا المقام هو ماصرح به موسولينى مرارا واثبته المؤرخون من ان ثورة ايطاليا الفاشستية إنما كانت نهجا من المدرسة الكمالية أى مدرسة كمال أتاتورك ..

ثم كانت الثورة الثالثة في المانيا بقيام هتلر، وهو الذى لم يكن يخفى- على الاطلاق- اعجابه بموسولينى وثورته بل ان "هتلر لا يفتأ يعلن ان موسولينى هو استاذه الذى سار على نهجه وتتبع خطاه .

تخرج من هذا الاستعراض المبسط يا بنى بنتيجة هى ان هذه الثورات التى وقعت فى النصف الاول من هذا القرن انما كانت كلها من مدرسة واحدة .

ولكنك حين تأتى يا بنى الى ثورة 23 يوليو المصرية والتى وقعت فى مستهل النصف الثانى من هذا القرن فانك تجد عملا جديدا ، بل منفصلا تمام الانفصال عما سبقه من ثورات وقعت من قبله فى نفس القرن العشرين ..

وهناك ثورة أخرى وقعت قبل تلك الثورات الثلاث يا بنى

في نفس هذ القرن وخلال الحرب العالمية الأولى وهى الثورة البلشفية في روسيا ولم اشأ أن أجعلها من تلك الثورات الثلاث اللاحقة لها لانها مدرسة قائمة بذاتها فى وطن له ظروفه التى شكلتها محنته وألامه ..

الا ان الباحث يرى وبلمس يا بنى أنه ما من شك فى ان هذه الثــورات الــثلاث على أختلاف ظروفها كانت تستهدف اول الامر مصلحة الشعوب التى قامت فيهــا ، ثم جاءت بعد ذلك الأنحرافات ، ففشلت أثنتان هما الفاشستية فى ايطاليا والنازيــه فى المانيا وتتعثر اليوم الثالثة فى تركيا . .

ثورة 23 يوليو والثورات الاخرى

وأعود الى ثورة 23 يوليو فأقول : ان هذه الثورة حدث جديد تماما يا بنى عما سبقه من أحداث فى نفس القرن من عمر الزمان ، واسباب هذا الاختلاف ترجع فى أساسها الى ان ثورة 23 يوليو هى الاخرى مدرسة قائمــة بــذاتها اســتمدت كــل مقوماتها من طينة شعب مصر وظروفه وعاداته وأخلاقه.

وسبب آخر؟ أساسى له عمقه ومغزاه هو ان ثورة 23 يوليو اتخذت من المثــل العليا شعارا تمسكت به وحافظت عليه بر غم ما سببه ذلك التمسك من تعويق لسير هذه الثورة واندفاعها فى وقت من الاوقات .

ولنأخذ مسألة قيادة هذه الثورة على سبيل المثال ، فنحن لا نعلم فيما نعلم من تاريخ الثورات فى هذا القرن أو فيما سبق من قرون ان قائــد ثورة من تلك الثورات يتنازل عن مركزه كقائد بمحض ارادته ليدفع برجل أخر الــى قيادة هذه الثورة ، ولا يكتفى بذلك بل يخدم تحت إمرة هذا الذى دفعه جنديا شــريفا مخلصا .

عيوب مصطفى كمال

ان ما نعلمه عن تاريخ الثورات هو عكس ذلك على خط مستقيم ، فقــد كــان قواد الثورات ولا يزالرن يخلون لانفسهم الطريق بالقتل والاغتيال والإرهاب .

فالتاريخ يقرر مثلا ان من عيوب مصطفى كمال أتاتورك المشهورة هو انه لم يبق على زميل أو صديق عاونه الا وقتله .

والتاريخ يذكر أيضا حمام الدم الذى خاضه هتلر بنفسه وبييده .

وموسولينى أيضا لم يمتنع عن القتل الا حين قتل..!!

وجهة نظر الجيش كله

اما فى هذه الثورة ــ ثورة 23 يوليو يا بنى ــ وهى الى أخذت نفسها بالمثل ، فاننا نرى جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار سنتين متتاليتين يسعى قبل قيام الثورة الى اقناع الهيئة بضرورة تنصيب قائد للثورة من خارج الهيئة لظروف واعتبارات قدر انها لمصلحة الوطن فى الوقت الذى يعلم فيه جمال انه أجدر عن يقوم بها سواء من وجهة نظر الهيئة التأسيسية التى انتخبته رئيسا او من وجهة نظر الجيش كله ..

ولم يكتف جمال بذلك ، بل انه بادر عقب انتخابه للمرة الثالثة رئيسا بالاجماع بعد قيام الثورة وطرد فاروق أقول بادر فتنازل الى محمد نجيب عن هذه الرياسة وألح على الهيئة التأسيسية حتى قبلت هذا الوضع .

لماذا . . لماذا ؟

ويحق لكل انسان أن يسأل اليوم يا بنى لماذا تصرف عمك جمال على هذا النحو ، فالعالم يجرى على سنن غير هذه السنة ، ونواميس الناس اليوم لا تعقل أو تفهم مثل هذا التصرف..؟

وهنا لابد لى من أن أكشف عن جانب من جوانب شخصية جمال عبد الناصر وهو أمر لابد لنا أن نسترشد به طول الحديث يا بنى كما قلت لك فى هذا الفصل .

شخصية عمك جمال

فقد ذكرت فى أول الفصول السابقة ان الهيئة التأسيسية وافقت قبل قيام الثورة على تعيين قائد مسن للثورة من خارج الهيئة الا واحدا عارض فى هذه الخطوة هو أبوك الذى يكتب لك هذه السطور، وقلت أيضا انه كان هناك ثلاثة مرشحون اختير منهم محمد نجيب ، وبعد أن صدر هذا القرار أذكر اننى اجتمعت على انفراد بعمك جمال فى شقته بكوبرى القبة وأخذت أتناقش معه وابدى له تخوفى الشديد من تسلم رجل غريب لقيادة الثورة التى لم تبدأ بعد وكان محور خوفى ان الرجل بحكم سنه وعقليته وجيله الذى نشأ فيه لن يستطيع أن يفهم العمل الثورى ولا يرجى منه بعد هذه السن أن يعيش بعقلية غير عقليته مما يشكل خطرا جسيما على الثورة خصوصا عند البدء .

النفس البشرية

وأذكر انه بان على عمك جمال انه اقتنع وأخذ ينفث دخانه سيجارته على عادته حين يكون مستغرقا فى التفكير ثم لم يلبث انه قطع الصمت قائلا :

" يجب أن تحسب حساب النفس البشرية . . "

ولم أفهم أوله الامر ، ولكن عمك جمال لم يلبث أن أستطرد قائلا :

" نحن جميعا فى الهيئة التأسيسية زملاء وفى سن واحدة ، ورتبنا تكاد تكون واحدة ، والذى جمعنا فى هذا العمل هو الصداقة أولا ثم الاخوة والمحبة اللتان ولدتا الثقة بدليل اننا نتآمر ليل نهار ولا يحس بنا أحد ، وأخشى ما أخشاه اننا اذا جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة فى نفس واحد منا ونحن بشر، والنفس البشرية مليئة بالانفعالات ، وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات ، بل لا أريد أن أفرض احتمالا واحدا فى الالف فيه شك من انفعال فى نفس أى واحد فينا

لأن المسئولية مسنولية مستقبل شعب ، وبالثقة والمحبة نستطيع. أن نحقق المستحيل "

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن تبدأ الثورة يا بنى .

وهكذا كان عمك جمال ومازال وسيظل يحسب حساب كل شىء مهما كان مستبعدا يا بنى ، لذلك انهزم وانهار أمامه ايدن الذى قضى ثلاثين عاما يصرف السياسة الدولية ويتحكم فى مقادير البشر وكانوا يعتبرونه استاذا من أساتذة هذا الفن .

ولهذا عرف الساسة فى أمريكا وفى العالم كله أن ذهب العالم كله لا يشترى فى مصر لا المثل ولا المبادىء .

مغزى عميق

ولهذا عادت العزة وعاد الشرف القومى لشعب عريق بل لمنطقة بأسرها، منطقة يسكنها قوم كان المستعمرون يسمونهم " عرب " كصفة تعنى الاحتقار والاشمئزاز، وبين يوم وليلة أصبحت كلمة " عرب " ذات مغزى عميق مخيف، مغزى يفخر به الاهل والإصدقاء ، ويرهبه القراصنة المستعمرون الأقوياء .

ولهذا أصبحت ثورة 23 يوليو قذى فى عين فرنسا أفقدها الوعى والرشد .

ولهذا فزع الانجليز وخرجوا على مألوف عادتهم فى ادعاء الهيبة والوقار وأصبحوا وهم يصرخون فى هذيان جنونى كشف عن خيبه نواياهم الاستعمارية وانتهى بهم الى الافلاس والجوع. .

والمعركة لم تنته بعد يا بنى حتى هذه اللحظة التى أكتب لك فيها هذه السطور ولكن عمك جمال لا يزال كما هو يحسب حساب كل شىء ويستلهم وحيه مـــن روح شعب مصر البسيطة المسالمة ، وهى نفس الروح التى تحطم القيود وتنسف السدود إذا غضبت أو ثارت .

وقد انتصرت الثورة وانتصر عمك جمال فى كل معركة خاضها باسم الشعب ، إنتصر يا بنى على ادعياء الدين من المشعوذين ، وقضى على الاتجار بالسياســـة ، وانتصر فى مارس سنة1954، وانتصر فى أكتوبر 1956 ، انتصر يابنى فى معركة الاحلاف ، وأنتصر فى معركة العروبة ، وانتصر فى معركة تسليح مصر وانتصـــر فى معركة القناة ، وانتصر فى معركة وحدة مصر وســـورية وهـــو يكمـــل اليـــوم انتصاره فى اتحاد الدول العربية . .
فلنبدأ يا بنى منذ البداية ..
أى من يوم 23 يوليو سنة 1952.